الحاصل في ثقل الكربونات بشرط ان تُعرف كمّيّة الماء الذي سقى الارض في وقت معلوم وكمّيّة الغاز الكربونيك الموجود في هذه الارض نفسها »

هذا وان الموادّ الكلسيّة كثيرًا ما تحتوي على الحامض الفسفوري وهي التي تنظّم ما يحصل في التربة من الاعمال الطبيعيّة والكيموية . فمن ذلك ان كربونات الكلس يمتزج بالصلصال فيلطّف قوّته الماسكة فيجعله قابلًا للنفوذ وبذلك تصبح الاراضي الزراعيّة سهلة الفلاحة . وبخلاف ذلك اذا كانت كمّية الرمل زائدة امتزج الكربونات بالرمل وانالهُ ما يحتاج اليهِ من التماسك اللازم لحمل النبات وتقويتهِ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

كان صاحب الهلال منذ ثلاث سنوات ادرج في مجلّتهِ (٦ : ٢٤٩) مقالةً في اختراع الطباعة وتاريخها في اوروبّة ختمها بذكر تاريخ الطباعة العربيّة . وهذه النبذة في المطبوعات العربية مع فوائدها لا تتجاوز ثلاث صفحات ولا تكاد تفي بالموضوع فضلًا عن انّ كاتبها الاديب جمع فيها الغثّ والسمين . فرأينا ان نعود الى هذا البحث ونثبت كلّ ما امكننا جمعهُ من تاريخ الطباعة الشرقيّة

اصول فن الطباعة

واول ما يحقّ لاهل المشرق ان يفتخروا بهِ ان فنّ الطباعة في بلادهم اقدم منهُ في بلاد اوروبّة . وقد اكتشف علماء العاديّات في بابل قوالب ناتئة الحروف كان ملوك الكلدان يتخذونها لطبع نسخ من اوامرهم الرسميّة نحو الف سنة قبل المسيح . فكان العمّال يجعلون هذه القوالب على الآجرّ قبل طبخهِ فتتشكّل الحروف محفورةً . وقد شاع مثل هذا الفن عند الصينيين بعد المسيح بنحو ستمائة سنة . بيد ان الصينيين

اتخذوا الخشب بدلًا من الآجرّ وطبعوا الكتب بالحبر على هذه الاخشاب البارزة الحروف . وقد رأينا في دار التحف البريطانيّة التآليف الصينيّة التي طُبعت على هذه الصورة طبعًا حسنًا منذ القرن الثالث عشر للمسيح وطبعها على الورق الصيني الرقيق

ومن الاكتشافات التي وقف عليها المستشرق هامر پرغشتال (١ ان عرب بلاد الاندلس لم يجهلوا فنّ الطباعة ولعلّهم اهتدوا اليه بعد فتوحهم لقسم من بلاد الهندستان ودخولهم في الصين. ومما يشهد على ذلك ما ورد في كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥م) في ترجمة ابي بكر القلوسي الاندلسي قال: « والّف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسطبونة (Estepone) . . . ورفع للوزير الحكيم كتابًا في الخواصّ (خواصّ) وصنعة الأمدّة وآلة طبع الكتاب غريبٌ في معناهُ ». وجاء ايضًا في كتاب الحلّة السرّيّة لابن الاثير (ص ١٣٧ من طبعة دوزي) عن بَدْر مولى الامير عبد الله أنّهُ كان « يكتب السجلات في دارهِ ثمّ يبعثها للمطبع فتُطبع وتخرج اليه فتبعث في العمّال » . وهذا دليلٌ على ان العرب كانوا يعلمون فنّ الطباعة على الحجر . وكانوا يحفرون ايضًا الخشب للطبع يؤيد ذلك طابعٌ كان اصحاب القيسارية في مدينة المرية في الاندلس يرسمون به البضائع يرتقي عهده الى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٥٠) (انظر صورتهُ في الصفحة ٨١) وهو كما رسمهُ العلامة المذكور آنفًا

بيد انّ هذا الفنّ كان صعب المزاولة يقتضي زمنًا طويلًا وعناء شاقًا . فألهم الله في اواسط القرن الخامس عشر رجلًا يُدعى حنًا غوتنبرغ وَضعَ الحروف المنفردة يصفُّها المرتبون كما يشاؤون ثم يفرّقونها بعد الطبع لتصنيف كُتب جديدة . فاتخذ اوّلًا غوتنبرغ حروفًا من الخشب ثم بدلها بالرصاص وساعدهُ في عمله رجلان اسم احدهما حنًا فوست من اغنياء مَيانز (Mayence) وبطرس شوفر من حذّاق العمّة فتوصّلوا الى ان ينشروا بالطبع سنة ١٤٥٠ كتاب التوراة باللاتينيّة . فما لبث ان شاع هذا الاختراع في الاقطار الاوربيّة وانتشر هذا الفنّ الجليل في كلّ انحاء المعمور . وما زادهُ شيوعًا انّ شوفر شريك غوتنبرغ توصّل الى وضع الأمّهات لسكب الحروف وصبّها

١) راجع المجلة الاسيويّة الفرنسية سنة ١٨٥٢ ص ٢٥٢ (J. A., 4e Série, XX, 252)

مبادئ طباعة اللغات الشرقية في اوربّة

لم يمرّ على اختراع فنّ الطباعة بالحروف المنفردة خمس سنوات حتى فكّر العلماء في وضع حروف لطبع اللغات الشرقيّة. واللغة العبرانيّة هي اول لغة شرقيّة نُشرت بالطبع ففي سنة ١٤٥٥ طُبعت التوراة العبرانية في فرّاري (١. وفي سنة ١٤٧٦ طبع ابرهيم ابن حايم اليودي فيها كتاب ארבע טורים واشتهرت بعدئذٍ سنة ١١٨٠ مطبعة مدينة سونسينو (Soncino) من اعمال دوقيّة ميلانو (٢ حتى كثر طبع كتب العبرانيّة في ايطالية واشتهر بين النصارى في هذا الامر الطبّاع بمبرغ (Bomberg) في البندقيّة وبعده غيليوم پوستل (G. Postel) وروبرت اسطفان (R. Etienne) في باريس

وللغة العربيّة المقام الثاني في تاريخ الطباعة. فانّ اوّل كتاب طُبع بلغتنا الشريفة نُشر بالطبع في فانو (Fano) في ١٢ ايلول سنة ١٥١٤ لا كما زعم الهلال (٦: ٢٥٢) سنة ١٥١٦. وهو كتاب صلاة السواعي (٣ حسب طقس كنيسة الاسكندريّة. وهذه المطبعة العربيّة كان سعى بانشائها البابا يوليوس الثاني في اوائل القرن السادس عشر ووكل امرها الى الطبّاع غريغوريوس جرجس البندقيّ. امّا الكتاب فصفحاتهُ ٢١١ بقطع الثمن (in-8). وظهر بعد هذا الكتاب بسنتين (١٥١٦) التأليف الذي ذكرهُ صاحب الهلال وهو سفر الزبور باربع لغات وهي العبرانيّة واليونانيّة والعربيّة والكلدانيّة ولكلّ هذ اللغات ترجمة لاتينيّة مطابقة لاصلها. وهذا الكتاب كبير القطع طُبع في جنوة بهمّة بطرس پورُوس (Porrus) في مطبعة نيقولا بولس جوستينياني لملك فرنسة فرنسيس الاول. ثمّ نشر الطبّاع پوستل في باريس مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقيّة سنة ١٥٣٨ بحروف هذه اللغات الاصليّة ومن جملتها السامريّة والسريانيّة والقبطيّة والجبشيّة والكرجيّة والارمنيّة. فانتشرت بعد ذلك بزمن قليل حروف كلّ هذه اللغات في اوربّة. ومن الطبعات القديمة الحريّة بالذكر الاناجيل الاربعة بالسريانيّة في ڤينّة عاصمة النمسة سنة ١٥٥٥ نقلًا عن نسخةٍ ارسلها البطريرك اغناطيوس الانطاكيّ على يد القس

---

١) راجع De Rossi : *De typogr. hebræo-ferrariensi*, p. 40

٢) راجع Notices et Extmits, I, 1787, p. *liv*

٣) راجع قائمة مكتبة دي ساسي (١: ٢٩٠). وقائمة المطبوعات العربية لملاسة شنورر (Schnurrer) ص ٢٣٥

موسى الماردينيّ. ونخصّ ايضاً بالذكر الكتب الطقسيّة للكنيسة المارونيّة التي طُبعت في رومية بامر البابا أوّين غريغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس في مطبعة دومينيك باسا اوّلها صلوات الكنيسة المارونيّة السبع بالكرشوني سنة ١٥٨٤. ثم نشر بالسريانيّة كتاب الجنّاز الماروني سنة ١٥٨٥

رسم طابع عربيّ قديم (الطب ص ٧٩)

غير انّ الكتب العربيّة نالت في اوربّة النصيب الاعظم في الطبع وحازت مطابع رومية السهم المعلّى. ففي سنة ١٥٦٦ اهتمّ الاب حنا اليان اليسوعي في ترجمة كتاب « اعتقاد الامانة الارثذكسية في كنيسة رومية » ثمّ طبعهُ في مطبعة المدرسة الرومانيّة للآباء اليسوعيين. ولهُ ايضاً كتاب جدال في صحّة الدين المسيحيّ دعاهُ « مصاحبة روحانيّة بين عالمين » وطبعهُ في المدرسة عينها (١. وفي سنة ١٥٨٤ نشر دومينيك باسا السابق ذكرهُ بالحروف العربيّة اوّل كتابٍ علميّ طُبع في لغتنا وهو كتاب البستان في عجائب الارض والبلدان لسلامش بن كندغدي الصالحيّ

ومن المطابع الرومانيّة الشهيرة مطبعة آل ميديسيس (Médicis) التي سمى بانشائها الدوق فرديننس الاول وكان وكل الى احد الطبّاعين الحذقاء اسمهُ روبرت غرانيون (Granion) بحفر حروف عربية فاحكم العمل وحفر اربعة اجناس من الحروف طبع بها آلُ ميديسيس كتباً عديدة نفيسة اولها كتاب الاناجيل المقدّسة سنة ١٥٩١ بحرف مشرق وتصاوير جميلة على الخشب نقشها تمستا (Tempesta) من امهر نقّاشي ذلك العصر. وقد طُبعت هذه الاناجيل طبعةً أخرى في السنة عينها مع ترجمة لاتينيّة حرفيّة مدرجة في المتن العربي. وفي السنة التالية نشرت المطبعة المذكورة كتاب مبادئ اللغة العربية ليوحنّا ريُنْدي ثمّ كتاب الكافيّة وكتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق لابي عبد الله محمّد المعروف بالشريف الادريسي وقد نقل هذا الكتاب الى

١) راجع فائدة كتب اللّغة دي ساسي (١ : ٨٧) وفائدة شنورر (ص ٢٣٦)

اللاتينيَّة سنة ١٦١٩ العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني ويوحنَّا الحصروني ثم ترجمهُ الى الايطاليَّة سنة ١٦٣٢ الاب دومينيك ماركي اليسوعي. وفي السنة ١٥٩٣ نشرت المطبعة الميدسيَّة قانون ابن سينا وفي آخرهِ كتاب النجاة وهو مختصر الشفاء. وفي ١٥٩٥ طبعت كتاب تحرير اصول اوقليدس من تآليف نصير الدين الطوسي وكتبًا غير هذه

ومن المطابع الشهيرة في رومة مطبعة العلامة سافاري دي براف (Savary de Brèves). وكان هذا في اول امرهِ سفيرًا لدى الباب العالي في عهد هنريكس الرابع وكان مُغرًى بالعلوم الشرقيَّة فحضر في باريس أمهات للحروف العربيَّة ابدع من حروف مطبعة الميديسيس واتى بها الى رومة فطبع بعض كتب كالتعليم المسيحي للكردينال بلرمين سنة ١٦١٣ وكتاب الزامير (١٦١٤) وقف على طبعهِ المارونيَّان الشهيران جبرائيل الصهيوني ومنصور شالاق العاقوريّ. وبهذه الحروف نفسها نشر الطبَّاع اسطفان پوليتوس كتبًا اخرى في رومة منها معجمٌ سريانيّ لاتينيّ للاب يوحنا قرَّاري اليسوعي ومبادئ اللغة العربيَّة لمنصور شالاق المذكور سنة ١٦٢٢ ثمَّ نحو اللغة العربيَّة لبطرس المطوشي اليسوعي الماروني (١٦٢٤) وكتاب الايساغوجي في المنطق (١٦٢٥)

وفي هذا الزمان اخذت جمعيَّة انتشار الايمان في رومة تسعى بنشر الكتب المفيدة وقد نالت بين المطابع الاوربيَّة شهرة عظيمة حتى فاقت بطبع اللغات الشرقيَّة ما سواها. واول كتاب عربي عُنيت بطبعهِ التفسير الواسع على تعليم الكردينال بلرمين نقلهُ الى العربيَّة حنا الحصروني فطُبع سنة ١٦٢٧ بامر البابا اوربانس الثامن. ثم نشرت كتاب مرآة الحقّ للاب بوناونتورا ملفازيا الفرنسيسي سنة ١٦٢٨ ثم الابجديَّة والآجروميَّة سنة ١٦٣٣ ثمَّ قاموسًا عربيًّا ايطاليًّا للراهب الفرنسيسي دومينيك جرمانوس البيلزيّ سنة ١٦٣٧. ومن كتب هذه المطبعة مختصر التاريخ الكنسي لبارونيوس (١٦٥٣) وكتاب الاقتداء بالمسيح (١٦٦٣) والاناجيل المقدَّسة بالعبرانيَّة والعربية (١٦٦٨) وترجمة الاسفار الالهية لتلامذة المدرسة المارونية (١٦٧١) والعهد الجديد بالسريانية والعربية (١٧٠٣) وقوانين القديس باسيليوس (١٧٤٥) والمتعبد لريم للاب سنيري (١٧٦٥) وكتب اخرى كثيرة لا تزال تنشرها الى يومنا هذا بلغات عديدة كالكلدانية والارمنية والقبطية والهنديَّة والكرجية والفارسية والكردية ممَّا اكسب هذه المطبعة سُمعةً طيِّبة في الخافقين والفضل في ذلك عائد الى احبار الكنيسة الرومانية نُصراء الدين والعلوم

معاً. ومما طُبع في رومية في غير مطبعة انتشار الايمان اعمال المجمع الخلقيدوني بالعربية (١٦٩٤) وترجمة اخرى للكتب المقدسة سعى بها رافائيل الطوخي الاسقف القبطي (١٧٥٢) وهو الذي نشر كتب كنيسته الطقسية بالقبطية (راجع المشرق ٢: ٨١٧) واعمال مار افرام بستة مجلدات (١٧٣٧) نشرها الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني وأتمها السمعاني. وكتاب الكمال المسيحي لرودريكوس (١٧٦٧) وقد سبق عن ذكره شتورر

ومن المطابع القديمة التي شاع اسمها في اوربة بكثرة مطبوعاتها الشرقية مطبعة ليدن من اعمال هولندة انشأها العلامة الشهير توما ارپنيوس (Erpennius) سنة ١٥٩٥ وخدمت العلوم خدمة جليلة. ومن مطبوعاتها امثال لقمان (١٦١٥) والعهد الجديد عن نسخة ترتقي الى سنة ١٢٤٣ (١٦١٦) وقصة يوسف البار من القرآن وهو اول كتاب ضُبط بالشكل الكامل والآجرومية (١٦١٧) وكتاب توراة موسى (١٦٢٢) وتاريخ جرجس المكين المعروف بابن العميد (١٦٢٥) ومجموع امثال علي بن ابي طالب (١٦٢٩) وعجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه (١٦٣٦) وسيرة السيد المسيح بالفارسية للاب ايرونيم كسافار يوس اليسوعي (١٦٣٩) ولغز قابس (١٦٤٠) وقاموس غوليوس (Golius) (١٦٥٣) وقسم من مقامات الحريري (١٧٤٠) ومعلقة طرفة (١٧٤٢) وديوان الامام علي (١٧٤٥) ولامية كعب بن زهير (١٧٤٨) وسيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد (١٧٥٥) وقصيدة البُردة (١٧٦١) وكليلة ودمنة (١٧٨٥) وتاريخ الحبش للمقريزي (١٧٩٠) ونخبة من امثال الميداني (١٧٩٥) وتآليف غير هذه لم يسعنا ذكرها. وقد نالت اليوم مطبعة ليدن المقام الاول بكثرة مطبوعاتها وفيها من العلماء المستشرقين قومٌ مبرزون يتقدمهم العلامة دي كوي (de Goeje) الشهير الذي رأينا من انسه وفضله اكثر مما سمعنا

ومن المطابع الشهيرة في اوربة بطبع التآليف الشرقية مطبعة باريس الملكية وحروفها هي الحروف التي هم بحفرها ساڤاري واسطفان پوليتوس السابق ذكرهما. واول كتاب طُبع في عاصمة فرنسة كتاب « في صناعة النحو » للقس جبرائيل الصهيوني والشماس يوحنا الحصروني سنة ١٦١٣ وكتاب الزبور بالسريانية واللاتينية (١٦٢٥) وقصيدة ابن العبري في الحكمة الالهية (١٦٢٨) ومعجم ارمني لاتيني (١٦٣٣) وكتاب التعليم المسيحي للكردينال ده ريشليو (de Richelieu) عربهُ الاب ده برواز

(de Boise) رئيس الكبوشيين في بغداد (١٦٤٠) ومقاصد الحكم لفلاسفة العرب نشرها ابراهيم الحاقلاني (١٦٤١). ولكن اسم هذه المطبعة طبّق العمور لمّا نشر الخوري له جاي (Le Jay) بعشرة مجلدات ضخمة الكتاب المقدّس في اللغات العبرانيّة والسامريّة والكلدانية والسريانية والعربية واليونانيّة واللاتينية (١٦٣٢—١٦٤٥) وهذا التأليف احسن ما طُبع في القرون الماضية من حيث نضارة الحروف وكمال الطبع

ومن المطابع الشرقيّة في اوربّة التي احرزت لها ذكرًا حسنًا مطبعة لندرة ومطبعة أكسفرد. واهمّ منشورات الاولى تاريخ الدولة الخوارزمية لابي الفداء (١٦٥٠) والتوراة المقدّسة بتسع لغات نشرها ڤلتون بستة مجلّدات ضخمة سنة ١٦٥٧ وزاد على طبعة باريس الترجمتين الحبشيّة والفارسية وصدّر طبعتهُ بمقدمة مفيدة جدًّا في الاسفار الالهية والعاديّات العبرانية وقد اضاف العلامة كاستلي (Castelli) عليها قسمين كبيرين كمعجم للكتاب المقدس. غير ان هذه الطبعة مع فوائدها دون الطبعة الباريسية من حيث جمال حروفها وحسن طبعها. ومن مطبوعات لندرة ايضًا رسائل طبّيّة للرازي (١٧٦٦) وكتاب الجراحة لابي القاسم (١٧٧٨) والمعلّقات (١٧٨٣)

امّا مطبعة اوكسفرد فانشئت في اواسط القرن السابع عشر اهتمّ بانشائها العلّامة پركوك (E. Pocock) ومن مطبوعاتها نبذة في تاريخ العرب (١٦٥١) ومقالات لموسى بن ميمون (١٦٥٥) وتاريخ سعيد بن بطريق (١٦٥٨) وحقيقة الديانة المسيحية لغروتيوس (١٦٦٠) ولاميّة الطغرائي (١٦٦١) وتاريخ ابي الفرج المعروف بابن العبري (١٦٦٣) ورسالة حيّ بن يقظان (١٦٧١) والسيرة النبويّة من تاريخ ابي الفداء (١٧١٣)

هذا وكان بودّنا قبل ان نباشر بتاريخ فنّ الطباعة بالشرق ان نتتبّع كل المطابع الاوربيّة التي جدّت مدّة الثلاثة القرون الماضية في نشر الكتب الشرقيّة لولا انّ ذلك يؤدي بنا الى الاسهاب الممل لكنّنا نسرد هنا اسماء بعض الكتب النفيسة التي طُبعت في ذلك العهد وفي معرفة الامر افادة لا تُنكر. فمن ذلك القرآن طُبع في البندقية (١٥٣٠) ومعجم جيجيوس (Giggeius) باربع لغات طُبع في ميلانو (١٦٣٢) وتفاسير القرآن للبيضوي والزمخشري والسيوطي مع مقدّمة نشرها لويس ماراچي (Maracci) في بادوا (١٦٩٨) وتعليم المتعلّم للزرنوجي في ماستريخ (١٧٠٩) وخريدة

العجائب لابن الوردي في أبسالا (١٧٥٧) ورسالة ابن زيدون في ليبسيك (١٧٥٥) ومنتخبات من شعر المتنبي فيها (١٧٦٥) ووصف الشام لابي الفداء فيها (١٧٦٦) ومقصورة ابن دريد في هردرفيغ (١٧٦٨ و ١٧٨٦) ولاميّة الطغرائي في فرنكفورت (١٧٦٩) ووصف مصر لابي الفداء في غوتا (١٧٧٦) وتاريخ ابي الفداء في كوپنهاغ (١٧٨٩) وكتاب عبد اللطيف في الامور المشاهدة بمصر في توبنغ (١٧٨٩) واكسفرد (١٨٠٠) وآثار العرب في صقلية لغريغوريوس روزاري في بالرمة (١٧٩٠) ومنتخبات من تقويم البلدان لابي الفداء في ليبسيك (١٧٩١) ومعلقة زهير فيها (١٧٩٢) والنقود الاسلامية للمقريزي في رُستك (١٧٩٧) وفي سنة ١٨٠٥ طبع العلامة دي ساسي في باريس منتخباته النفيسة التي دعاها « الدليل المفيد للطالب المستفيد » في ثلاثة اجزاء ضخمة. ومذ ذاك الحين دخلت المطبوعات الشرقيّة لاسيما العربية في طور جديد بحيث صار عددها يُربي في أوربّة على المئات ونحن نقف عند هذا الحدّ لنقصر النظر على المطابع الشرقية في بلاد الشرق ونُرجئ تتمّة مقالتنا الى الاعداد الآتية (ستأتي البقيّة)

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

السفر على سفينة كلفلند

— متى يقلع المركب كلفلند من سان ميشل ؟

— بعد ثمانية ايام

— ثمانية ايام.. يا فتى! او ليس سفينة أخرى تسافر قبلهُ ؟

— كلاَّ يا سيدي

فما سمع فاضل (وما كان السائل غيرهُ) حتى ضرب الارض برجلهِ وصار يمشي ذهابًا وايابًا على ضفّة النهر كرجل ضُرب في ساعدهِ ونالهُ بلاء عظيم

وكيف لا يضطرب .. فان الساعات للخائف المذنب تُعدّ اطول من الاجيال...